الصراع في القوقاز

التطور التاريخي والمخاطر الحالية

الكاتب: مارتين بيتشناو [1]

التصنيف: دراسات استراتيجية

حقوق النشر ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا©.

ناغورنو كاراباخ هي منطقة في جنوب القوقاز تبلغ مساحتها حوالي ١٢٣٠٠ متر مربع وعدد سكانها ١٥٠،٠٠٠ نسمة، معظمهم من أصل أرمني.

ولطالما عانت تلك المنطقة من الحرب وآثارها، حيث فيها حقول ألغام وألغام مضادة للأفراد، بالإضافة إلى فتحات وخنادق تظهر الخطوط الأمامية السابقة بالإضافة إلى آثار الدمار الذي عاشه الناس في فترات سابقة.

يقاتل الأرمن هنا من أجل حياتهم ووطنهم، بينما يقاتل الجنود والمرتزقة الأذربيجانيون من أجل منطقة ذات أهمية جيواستراتيجية ليتمكنوا من شن هجمات على جمهورية أرمينيا.

ما قبل التاريخ

لقد تم ذكر منطقة كاراباخ الواقعة في "آرتساخ" الأرمنية في الكتابات اليونانية القديمة. ومنذ القرن الحادي عشر جاءت القبائل التركية المسلمة إلى البلاد عبر شمال آرتساخ وأطلقت عليها اسم كاراباخ بالتركية "الحديقة السوداء". حتى منتصف القرن الثامن عشر كانت آرتساخ، التي تسمى الآن كاراباخ، تحت سيطرة العثمانيين.

منذ عام ١٨٠٤، أصبح جنوب القوقاز (أرمينيا وآرتساخ والأجزاء الشمالية من بلاد فارس) تحت سيطرة الإمبراطورية الروسية. بعد انهيارها، كانت هناك عدة حروب بين شعوب المنطقة المختلفة (الأتراك والجورجيين والأرمن والأذريين) من أجل تحديد الحدود المستقبلية.

وبتدخل تركيا العسكري والسياسي، تأسست أذربيجان في ٢٨ مايو ١٩١٨، وهي منطقة ذات إنتاج نفطي كبير في هذا الوقت.

وبين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ وتحت إمرة الجنود الأتراك في أذربيجان، شن الأذريون عدة هجمات على السكان الأرمن الذين يعيشون هناك، والذين فسروا ذلك على أنه استمرار للإبادة الجماعية للأرمن خلال الحرب العالمية الأولى.

من ناحية أخرى، كانت هناك أعمال انتقامية ضد المسلمين، إلا أن هذه الاضطهادات توقفت مؤقتاً في ٢٨ أبريل ١٩٢٠ مع إعلان جمهورية أذربيجان السوفيتية.

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠، استولى البلاشفة الأرمن على السلطة في أرمينيا، واعترف رئيس البلاشفة الأذربيجاني ناريمان ناريمانوف وأول رئيس وزراء لجمهورية أذربيجان السوفيتية في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٠ أن كاراباخ تنتمي إلى أرمينيا. في نفس اليوم كُتب مقال بقلم جوزيف ستالين في برافدا يقول:

"القوقاز مهمة من أجل الثورة لأنها مصدر للمواد الخام والمواد الغذائية، وهي مهمة أيضاً بسبب موقعها بين أوروبا وآسيا، إذ إن جميع الطرق الاقتصادية والاستراتيجية ذات الأهمية الكبيرة تمر من هنا، لذا علينا السيطرة على هذه المنطقة."

التقسيم التعسفي

بعد زحف الجيش الأحمر إلى جنوب القوقاز في ديسمبر ١٩٢٠، تم تكليف المكتب القوقازي التابع للحزب الشيوعي لروسيا، والذي تنتمي إليه الأحزاب الشيوعية في جمهوريات جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، بتحديد الجمهورية التي ستكون منطقة كاراباخ تابعة لها. كان عدد السكان الأرمن في ذلك الوقت حوالي ٩٠٪.

وفي ٤ يوليو ١٩٢١، قرر مكتب القوقاز في اجتماع تبليسي أن كاراباخ يجب أن تبقى مع جمهورية أرمينيا السوفيتية. في اليوم التالي، أثناء عمله كمفوض خاص بقضايا الجنسية، راجع ستالين هذا القرار بناءً على طلب أتاتورك وناريمانوف، وتمت إضافة كاراباخ إلى جمهورية أذربيجان السوفيتية كمنطقة حكم ذاتي، احتجاجاً على جمهورية أرمينيا السوفيتية.

آنذاك علق البروفيسور أوتو لوخترهانت قائلاً: "لقد استند هذا القرار إلى قوة الجيش الأحمر في القوقاز. لم يتم سؤال السكان المتضررين، لم يكن هناك استفتاء،" وقد وصف القرار بال "تعسفي".

التنازلات الروسية

في عشرينيات القرن الماضي، كان هناك تقارب بين الاتحاد السوفيتي وتركيا، وقد تضمن ذلك تنازلات سياسية من قبل السوفييت، على أمل أن تتحول تركيا إلى دولة شيوعية، وكان منح منطقة كاراباخ لجمهورية أذربيجان السوفيتية تنازلاً سياسياً.

في اتفاقية السلام والصداقة التي وقعتها روسيا السوفيتية والحكومة الوطنية التركية في عام ١٩٢١ "معاهدات موسكو"، تخلى الاتحاد السوفيتي عن كارس وأرداهان وبعض المناطق الأخرى على حدود القوقاز، وكذلك عن ناهيتشيوان، التي كانت أغلبية سكانها من الأرمن، حيث تم التنازل عنها لجمهورية أذربيجان السوفيتية. نتيجة لذلك أصبحت أذربيجان تشترك مع تركيا في الحدود بطول ٦ كيلومترات. بعد ذلك قام الأذريون بطرد الأرمن، وتم تدمير الأصول الثقافية القيمة التي تعود إلى قرون مضت، مثل المقابر الأرمنية ذات الأحجار المتقاطعة الشهيرة.

في السنوات ما بين ١٩٢٣–١٩٢٩ تم إنشاء مقاطعة "كردستان الحمراء" في منطقة بين جمهورية أرمينيا السوفيتية وكاراباخ، حيث استقرت القبائل الكردية هناك في وقت مبكر من القرن الثامن عشر وأصبح الأكراد تدريجياً هم الغالبية. مع إقامة "كردستان الحمراء"، بدأ الطرد النهائي للأرمن الذين يعيشون هناك واستقر المسلمون الأذريون بطريقة ممنهجة واختلطوا مع الأكراد، وبهذه الطريقة أصبحت كاراباخ ذات الحدود المباشرة مع أرمينيا جيباً داخل أذربيجان.

خلال الحقبة السوفيتية، تعرضت كاراباخ وسكانها الأرمن للتمييز من قبل حكومة جمهورية أذربيجان السوفيتية والأذريين.

بالنسبة للحكومة في باكو، كانت كاراباخ ذات قيمة جيوستراتيجية فقط، ولا توجد فيها أية موارد مثل النفط، لذلك لم تنشأ أي استثمارات في تلك المنطقة. وفي سبعينيات القرن الماضي، استقر المزيد من المسلمين في كاراباخ.

حق الشعب في تقرير المصير

في فبراير ١٩٨٨، خرج آلاف الأشخاص إلى الشوارع في ستيباناكيرت (عاصمة كاراباخ) للتظاهر من أجل توحيد كاراباخ مع جمهورية أرمينيا السوفيتية. حاول الأرمن في كاراباخ أولاً الانضمام إلى أرمينيا من خلال القانون الدستوري السوفيتي (الاستفتاء)، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل لأن قرارات البرلمان الإقليمي في كاراباخ غير دستورية ولم يتم وضعها من قبل هيئات الاتحاد السوفياتي. وهذا صحيح، لأن الشيوعية السوفيتية رسمت هيكلاً فيدرالياً على الورق، إلا نها لم تضع أية قواعد قانونية. رفضت الإدارة السوفيتية الإعمال الدستوري لحق الشعوب في تقرير المصير.

كردٍّ على هذا التعبير السلمي عن إرادة شعب كاراباخ، حرضت القيادة الأذرية على المذابح في سومغيث، ونتيجة لذلك، اندلعت أعمال شغب أخرى ضد الأرمن في أذربيجان.

في ١٤ مارس ١٩٩٠، إبان حكم ميخائيل جورباتشوف، تم تغيير الدستور السوفييتي لعام ١٩٧٧، فاستُبدلت سيادة الحزب بسيادة الدولة، وكان من المقرر أن ينبثق اتحاد فيدرالي من ديكتاتورية الحزب الشيوعي.

وفي ٣ أبريل ١٩٩٠، تم تفعيل قانون انسحاب ١٥ جمهورية من الاتحاد السوفياتي. لم يؤثر هذا القانون على الجمهوريات فحسب، بل أعطى أيضاً مناطق الحكم الذاتي العشرين داخل الاتحاد السوفيتي حقوق الحكم الذاتي الفعلي، وكانت كاراباخ واحدة من تلك المناطق المتمتعة بالحكم الذاتي.

مما نص عليه قانون ٣ أبريل ١٩٩٠: "في جمهورية الاتحاد التي تضم جمهوريات ذات حكم ذاتي و/ أو مناطق حكم ذاتي ضمن جمعيتها، يتم إجراء استفتاء بشكل منفصل لكل حكم ذاتي. ويحتفظ شعب الجمهوريات والكيانات المتمتعة بالحكم الذاتي بالحق في الوصول إلى قرارات مستقلة حول البقاء في الاتحاد السوفيتي أو جمهورية الاتحاد المنسحبة، ولهم والحق في تغيير حالة جمهوريتهم."

وكانت أذربيجان قد غادرت الاتحاد السوفياتي حسب قانون الانسحاب، لذلك كان لدى كاراباخ خيار المغادرة كجزء من أذربيجان أو البقاء في الاتحاد السوفياتي، وبالتالي تحديد وضعها.

حرب بين أذربيجان وكاراباخ

بين أبريل وأغسطس ١٩٩١، قامت أذربيجان السوفيتية، بمساعدة الجيش السوفيتي والشرطة، بترحيل السكان الأرمن في كاراباخ، وبالتالي فقد حوالي ١٠٠٠٠ شخص منازلهم ومات المئات.

في ٣٠ أغسطس ١٩٩١ أعلنت أذربيجان استقلالها، وفي ٢ سبتمبر ١٩٩١ أعلنت كاراباخ أنها ستستفيد من قانون الانسحاب كمنطقة حكم ذاتي.

وهذا من ناحية يعني أنه سُمح لكاراباخ بالبقاء في الاتحاد السوفيتي في الوقت الحالي، ومن ناحية أخرى، سُمح لها بتحديد وضعها الخاص، ولم تعد جزءاً من أذربيجان.

في العاشر من ديسمبر ١٩٩١، تم إجراء استفتاء في كاراباخ قاطعه الأذريون الذين كانوا يشكلون حوالي ٢٠٪ من السكان. أكثر من ٩٩٪ من الناخبين في كاراباخ صوتوا لصالح الاستقلال، وهكذا تم إضفاء الشرعية على قرار ٢ سبتمبر. كان الاتحاد السوفياتي قائماً حتى ٢١ ديسمبر ١٩٩١، وبالتالي تم تطبيق القانون المذكور أعلاه في ذلك الوقت. رفضت أذربيجان ذلك القانون وأشارت إلى مفاوضات السلام الجارية في مجموعة مينسك، والتي سيتم في نهايتها توضيح وضع كاراباخ. حتى الآن لم يتم الاعتراف بجمهورية أرتساخ دولياً، ولكنها في الواقع موجودة كدولة لأكثر من ٣٠ عام.

في ديسمبر ١٩٩١ شنت أذربيجان حرباً على كاراباخ استمرت حتى عام ١٩٩٤ وراح ضحيتها ٤٠ ألف شخص من الجانبين.

بعد انتهاء الحرب في عام ١٩٩٤، أصبحت بعض قرى أرتساخ تحت سيطرة أذربيجان، وإذا كان السكان محظوظين فهم من أولئك الذين تم إجلاؤهم.

أقام أرمن آرتساخ علاقة إقليمية مع أرمينيا في عام ١٩٩٤ واحتلوا بعض الأراضي، وخاصة في جنوب شرق أرتساخ. أصبحت القرى تحت سيطرة أرتساخ، التي فر معظم سكانها من المسلمين، أما أولئك الذين لم يرغبوا في الفرار فقد طردهم الأرمن.

دولتان وشعب واحد

دعمت جمهورية أرمينيا (وبعض المتطوعين من الشتات) آرتساخ، كما يطلق عليها الآن، في كفاحها من أجل حريتها، ودعمت تركيا أذربيجان سياسياً وعسكرياً، وفي أوائل التسعينيات سمعت أنقرة التهديد بأن "عدد الأرمن سيكون مثل القطع الأثرية في المتاحف."

وفي الصراع الحالي نرى أن الأصوات التركية تتقدم أيضاً، فعلى سبيل المثال قال إبراهيم كاراجول رئيس تحرير صحيفة ياني شفق التابعة لحزب العدالة والتنمية: "يجب أن يسقط صاروخ بطريق الخطأ مباشرة في وسط يريفان! أذربيجان ليست وحدها، فقد وصف أردوغان أرمينيا مؤخراً بأنها أكبر تهديد للسلام في المنطقة."

بعد أن تمكن الأرمن من فرض وجودهم عسكرياً في كاراباخ في عام ١٩٩٣، زادت أنقرة من دعمها العسكري لأذربيجان.

وفي بداية سبتمبر ١٩٩٣، حشدت تركيا قواتها على الحدود التركية الأرمينية. في السادس من سبتمبر، فتحت قوات الحدود التركية النار على الأراضي الأرمينية، مع ذلك، لم يرد الجنود الروس المتمركزين هناك على الاستفزاز. من جانبها، خشيت الحكومة الأرمينية من أن يتم سحب ١٠ آلاف جندي روسي على الحدود التركية الأرمنية إلى روسيا في حالة وجود انقلاب في موسكو ومن ثم حدوث غزو تركي. خلال عطلة نهاية الأسبوع في ٢ و ٣ أكتوبر ١٩٩٣، كان وزير الدفاع الأرميني سركيسيان على اتصال دائم مع نظيره الروسي، والذي أكد له أن الجيش يقف وراء يلتسين وأن الانسحاب من أرمينيا غير وارد.

وبحسب أجهزة المخابرات الفرنسية يُقال إن هناك اتفاقا حصل بين زعيم الانقلاب خصبولاتوف (رئيس البرلمان الشيشاني والروسي) وتركيا. وبناء على ذلك، في حالة كان الانقلاب ناجح ، كان خصبولاتوف سيسمح "بإجراءات محدودة" في أرمينيا وجورجيا "لتعقب المقاتلين الأكراد" أو لتأمين أبخازيا.

تجميد الصراع

تم الاتفاق على وقف إطلاق النار في مايو ١٩٩٤، إلا أن الصراع نفسه لم يتم إنهاؤه أبداً، على العكس من ذلك تم خرق الهدنة مرارا وتكرارا.

وكان التصعيد الأخطر بين ٢ و ٥ أبريل ٢٠١٦، عندما سقط ٩٢ أرمنياً و ٣١ جندياً أذرياً ضحايا لذاك الصراع. وبحسب مصادر رسمية في أرتساخ، يُقال إنه تم نشر مرتزقة إسلاميين منذ ذلك الحين، وفي صيف عام ٢٠١٧، حدث هجوم بطائرة كاميكازي على موقع أرمني.

الإسلاميون على الجبهات

حسب وسائل الإعلام الأرمينية، قامت تركيا بإرسال ما بين ٢٠٠٠ و ٨٠٠٠ جهادي من سوريا إلى أذربيجان، حيث تم تجنيدهم للحرب ضد أرتساخ. وبحسب تقارير أخرى، تمت مصادرة جميع سيارات البيك أب المتوفرة في باكو، لاستخدامها على الجبهات، وقد ذكر موقع "آسيا نيوز" أنه تم إرسال ٤٠٠٠ جهادي من سوريا وحدها،

وتحديداً من إدلب التي احتلها الأتراك. وجاء في نداء للميليشيا الإسلامية "لواء السلطان مراد" (المدعوم من تركيا) ما يلي: "المتطوعون من سوريا منتشرون في خط المواجهة على الحدود الأرمنية الأذربيجانية". وفي برنامج حواري على إذاعة المشرق الإسلامية أثيرت انتقادات مفادها أنه بدلاً من قتال الأسد في إدلب "تم سحب المقاتلين وإرسالهم إلى الحدود الأرمنية ضد الصليبيين المسيحيين".

من جانبهم قام الروس بالبحث عن معسكرات التدريب ونقاط التجمع في سوريا التي جندت ودربت المقاتلين في كاراباخ، وفي ٩ أكتوبر ٢٠٢٠، تم تدمير هذه المعسكرات بعدة ضربات جوية، حيث أفادت تقارير أن أكثر من ١٥٠ جهادياً لقوا حتفهم.

صور من جرائم الحرب التي ارتكبتها أذربيجان بمهاجمة الكنائس مثل كاتدرائية شوشي والمعالم الثقافية (انظر إلى الصور).

وفي انتهاك للقانون الدولي، تستخدم أذربيجان الصواريخ ضد أهداف مدنية، حيث أصابت الصواريخ عاصمة كاراباخ، كما تستخدم الأسلحة العنقودية الإسرائيلية من طراز M095 DPICM.

الجدير بالذكر أنه تم حظر صنع الذخيرة العنقودية و / أو تخزينها و / أو استخدامها دولياً منذ ١ أغسطس ٢٠١٠. وفي غضون ذلك، تشكلت حركة احتجاجية في إسرائيل تطالب بعدم بيع المزيد من الأسلحة إلى أذربيجان.

لطالما ارتبط نظام عليف بالفساد وانتهاكات حقوق الإنسان وانعدام الديمقراطية وارتكاب جرائم الحرب، وكل هذا تثبته التقارير الواردة من الاتحاد الأوروبي و منظمات حقوق الإنسان.

ولكن يبقى السؤال الأهم: لماذا الآن؟

لطالما حلمت تركيا بالتوسع، وهذا ما تظهره المواد التعليمية المقررة من قبل وزارة التعليم التركية. بالإضافة إلى ذلك، وبصفتها القوة العسكرية الإقليمية التي صنعها حلف الناتو، تسعى تركيا إلى التدخل في كل بلدان المنطقة والمساعدة في إعادة تشكيلها، فعلى سبيل المثال قامت بمهاجمة الأكراد وهم الوحدات البرية الوحيدة التي قاتلت الإسلاميين خلال الحرب السورية، كما قامت بإيصال الأسلحة والمعدات للإسلاميين.

وضع اقتصادي متزعزع في كلا البلدين

في العام الماضي تراجعت قيمة الليرة التركية بنسبة ٥٠٪، وتعاني تركيا الآن من أزمة اقتصادية هائلة لا تلوح نهايتها في الأفق.

أما أذربيجان التي تستمد أكثر من ٩٠٪ من دخلها من النفط والغاز، فقد أدى الانخفاض الهائل في أسعار النفط إلى زعزعة قاعدتها الاقتصادية.

وعلى عكس ما تروج له تركيا سياسياً عن "عدم وجود مشاكل مع الجيران"، شهدت تركيا في السنوات العشر الماضية مواجهات أو تدخلات عسكرية مع الأكراد (في بلادها) واليونان وقبرص والعراق وسوريا وليبيا وأرتساخ. في حالة سوريا والعراق، احتل الأتراك أراض من كلا البلدين.

تجدر الإشارة إلى أن كلا الرئيسين (أردوغان وعلييف) كوّن ثروة بعد استلام منصبه الرئاسي، وكلاهما ليسا أصدقاء للديمقراطية وحرية التعبير وحرية الإعلام، كلاهما أيضاً يقمعان المعارضة وقما بتنصيب أفراد من عائلتهما في مناصب حكومية.

وفي كلا البلدين، تعيش العديد من الأقليات المختلفة، ومع ذلك يتم تأجيج الخوف والكراهية ضد الأقليات – خاصة ضد الأرمن – من خلال الكتب المدرسية.

لقد سئمت شعوب القوقاز كونها لعبة السياسة، إنهم يبحثون عن السلام، لا أحد يريد أن يرسل أطفاله، مستقبل أسرته، وشعبه إلى الحرب. كل ما تبقى هو الخوف وانعدام الثقة والمرارة.

كل ما تحتاجه تركيا وأذربيجان هو حرية الصحافة وحرية التعبير والديمقراطية، ذلك من شأنه أن يحقق أكبر قدر من الاستقرار في المنطقة.

مراجع

I. إن مؤلف هذه الدراسة هو شخصية معروفة وناشط في مجال حقوق الإنسان، ويعمل كمحرر في صحف "أرمينيا" و"تابو أند تراوما".

٢. نقلاً عن هيلين كارير دي إنكوس: لينين. بايبر فيرلاغ، ميونيخ 2000، ISBN 3-492-04199-X، ص ٤٠٤.

3. Luchterhandt Ottoحق ناغورنو كاراباخ في استقلال الدولة من وجهة نظر القانون الدولي Archiv des Völkerrechts 31. Bd., No. 1/2, UMWELT-SCHUTZ / PROTECTION OF THE ENVIRONMENT (1993), pp. 30-81 https://www.youtube.com/watch?v=3eNFflobMtk https://www.youtube.com/watch?v=6qqfWQW2-dw

٤. البروفيسور Otto Luchterhandtكان أستاذ القانون العام والقانون الشرقي في جامعة هامبورغ من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٨ وكان مدير قسم أبحاث القانون الشرقي

٥. Luchterhandtحق ناغورنو كاراباخ

٦. المرجع نفسه

7. https://yeni1mecra.com/ibrahim-karagul-erivanin-merkezine-fuze-dusmeli/

8. https://jacobinmag.com/2020/10/armenia-azerbaijan-cease-fire-conflict-nagorno-karabakh

9. https://www.haaretz.com/israel-news/israeli-firm-loses-kamikaze-drone-export-license-for-azerbaijan-1.5446732

10. http://asianews.it/news-en/Turkey-sends-4,000-Syrian-ISIS-mercenaries-to-fight-against-the-Armenians-(VIDEO)-51151.html

11. https://www.armenews.com/spip.php?page=article&id_article=69756

12. https://www.amnesty.org/en/latest/news/2020/10/armenia-azerbaijan-civilians-must-be-protected-from-use-of-banned-cluster-bombs/

13. https://www.welt.de/politik/ausland/article211003775/Offensive-Adlerkralle-Tuerkische-Jets-greifen-erneut-Ziele-im-Nordirak-an.html

MENA
RESEARCH
CENTER
مركز أبحاث ودراسات مينا